مجلة الموظف

1964-1960

المجلد الرابع

من العدد التاسع يناير (كانون الثاني) 1963م

إلى العدد الثالث عشر مارس (آذار) 1964م

مركز البحوث والدراسات الكويتية

الكويت !

نمو ! تطور ! تنظيم ! : من قرية إلى عاصمة

بقلم المهندس

الدكتور سابا جورج شبر

خبير التخطيط لدى بلدية الكويت

(ان الذين يسألوننا يوميا عن الكويت ـ من كويتيين واجانب ـ وعن تنظيمها ومشاريعها وهندستها الخ ... كثيرون جدا . لهذا حاولنا فى هذا المقال ـ المزود بالصور والمخططات والرسومات ـ تبيان بعض المشاريع الحديثة ونمو وديناميكية ومميزات هذا البلد الفريد . اقدم هذا المقال تقديرا لاعمال أعضاء المجلس البلدي ورئيسه الموقرين الذين عينهم صاحب السمو أمير دولة الكويت فى مطلع عام ١٩٦٠) المؤلف .

١ ـ توطئة :

هنالك مدن قليلة بين مدن القرنين التاسع عشر والعشرين لم تتأثر بصورة او بأخرى أو لم تتغير بعض معالمها ضمن عمليات حركة التصنيع او مشاريع التعديلات التنظيمية التي استلزمها تطبيق المبادىء التصميمية غير السليمة عند انشاء تلك المدن .

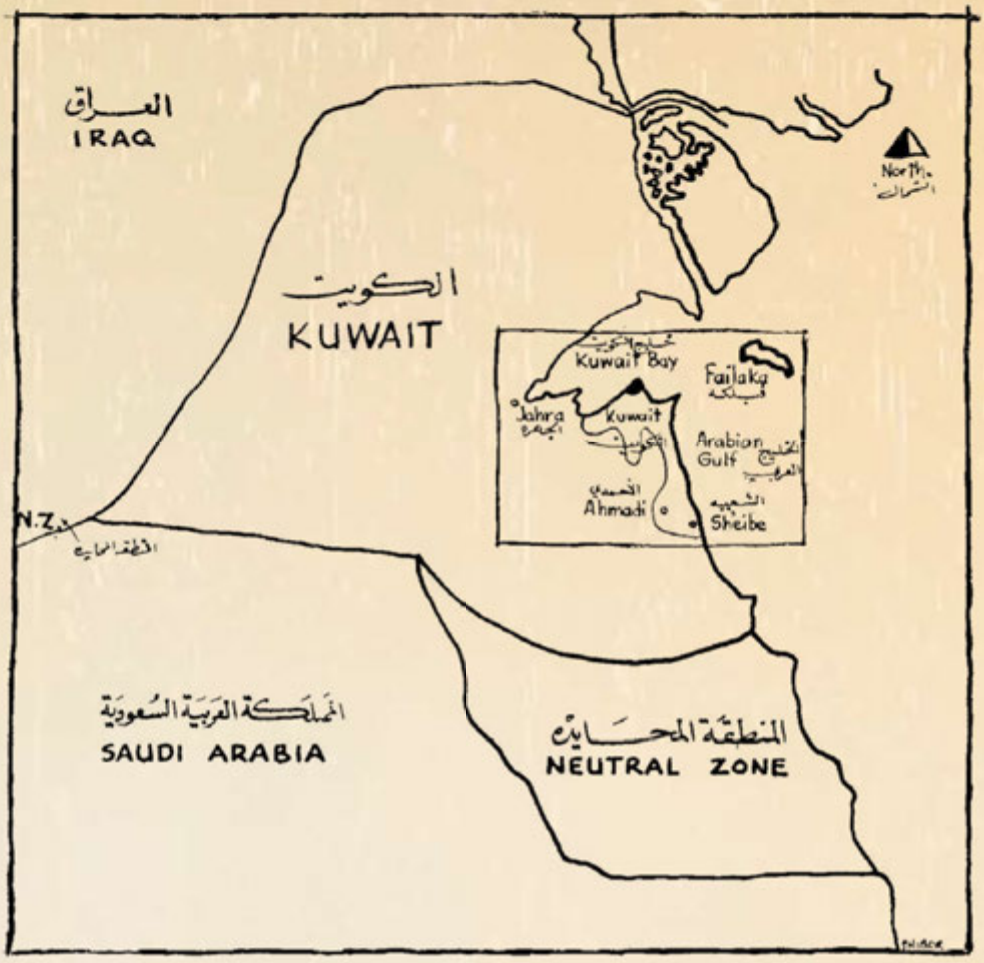

رقم ـ ١ ـ « تقع الكويت فى الزاوية الشمالية الغربية من الخليج العربي بين خطي عرض ٢٨ و٣٠ شمالا وخطي طول ٤٦ و٤٨ شرقا .

ومساحة الكويت (١٥) الف كيلو متر مربع (٦ آلاف ميل مربع) .

ويتالف سطح الكويت من سهول رملية منبسطة تتخللها بعض التلال القليلة الارتفاع ومعظم هذه السهول مغطاة برواسب الحصى والرمل . وفى الجنوب نجد بعض التلال على شكل القباب الملائمة لتجمع الزيت . وتبدو واضحة كانها جزر صغيرة .

والمياه قرب الشاطىء ضحلة وحركة المد والجزر واضحة والمياه هادئة وهذا من العوامل التي ساعدت على توجيه السكان الى البحر .

وبالكويت مرتفعات وسهول كثيرة مثل جبال الزور وتلال « الليلح » وتلال « المرو » ، وفى الركن الغربي من الامارة يمتد سهل « الدبدبة » الصحراوى . والى جانب هذه السهول والتلال كثير من المجارى الصغيرة والجافة والاودية الضحلة ومن اشهرها وادى « الباطن » . »

(دليل الكويت ١٩٥٩)

(انظر الى المخطط رقم ـ ٥٦ ـ للتفاصيل داخل المستطيل)

فقد اجتاحت العالم العربي ـ وخلال الخمسة عشر عاما الماضية على وجه التحديد ـ موجة نشاط عمراني كبير لامست معظم مدنه وادت الى قيام حركة عمرانية دائبة فى مختلف اقطاره . واذا ما تفحصنا مدينة بيروت مثلا ندرك الى اي مدى جعلها ضغط التصنيع وعدم توفر الأسس التنظيمية الصحيحة لها فى حالة لا تحسد عليها من الناحية العمرانية . غير أن مدينة الكويت الفريدة من نوعها قد تكون المدينة العربية الوحيدة التي لم تدخر وسعا فى سبيل تطبيق اسس التنظيم السليمة جاهدة فى اذلال العقبات التي تعترض نهضتها العارمة ـ تلك النهضة التي يغذيها الدخل الكبير المفاجيء .

لقد ذكر العلامة ابن خلدون قبل ما يقرب من ستمائة سنة فى مقدمته المعروفة « ... ان البادية اصل العمران والامصار مدد لها » اي ان الصحراء هي مهد وموطن الحضارات والمدن . ومما لا شك فيه ان ابن خلدون لم يكن يفكر فى النفط بل

رقم ـ ٢ ـ قبل ان يبني الانسان يبحث ....

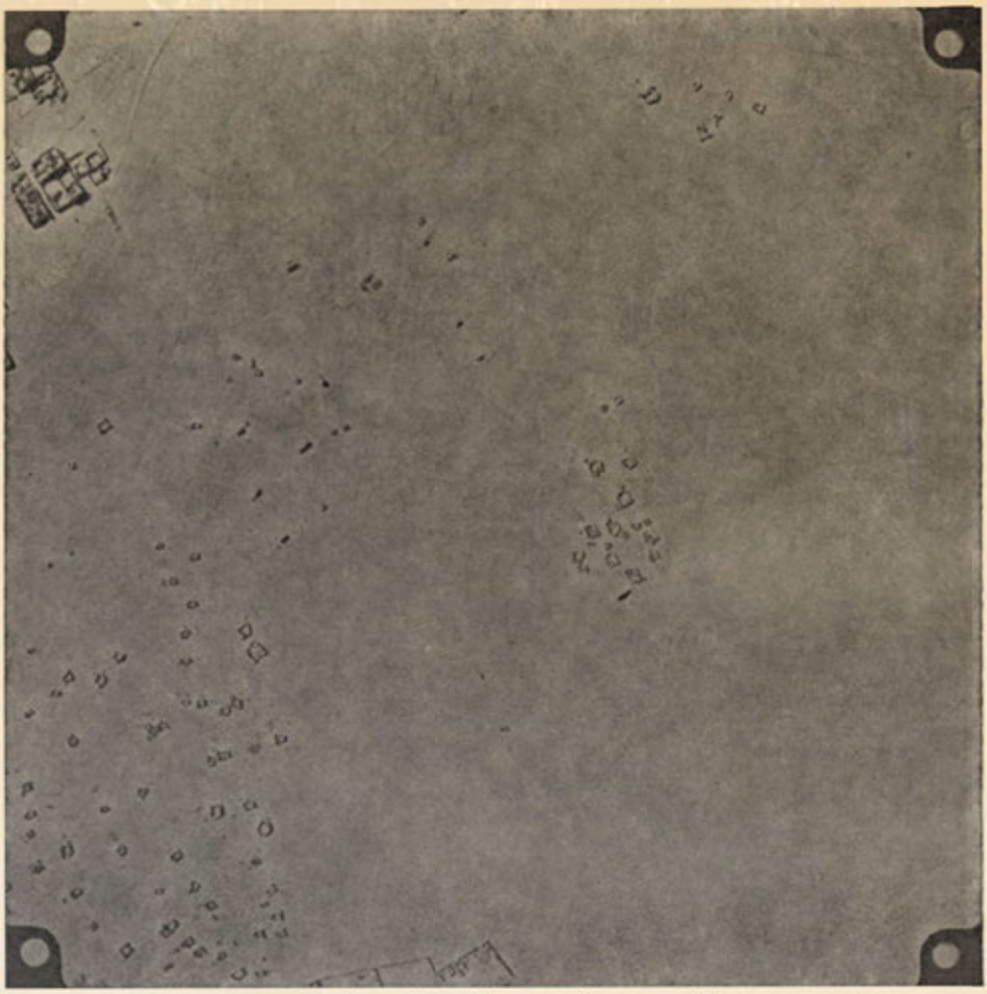

رقم ـ ٣ ـ ثم يبني المأوى البسيط ....

لم يخطر له ذلك على بال عندما ابدى تلك الملاحظة الثابتة ان الصحـــراء العربية الكبرى ـ وهي بمثابة خضم واســع من الرمــل ـ تتميز رغم خشونتها وقسوة الحياة فيها بأشياء كثيرة . وان آخر ما تميــزت بــه حديثا هو انشاء المدن الكبيرة فــي المناطق التي اكتشف فيها النفط ، ولعـــل اهم هذه المدن هي مدينــة الكويت الفريدة فى نوعها والبعيدة كل البعد فى مميزاتها عن عالم الخيال .

ان انشاء المدن قد واكب دائمــا نشاط الانسان عبر الزمن والمسافات وما هو الا كتابة ، كتابة ليست بالحبر على الورق وانما بالعمارات والطرق والحدائق على صفحة اليابسة ، فهي اوضح انواع « الكتابة » التي تعطينا دونما خطأ صورة جلية عن مدى تقدم او تخلف اي مجتمع فى الحضارة ، وهي كذلك الكتابــة التي يستطيــع الانسان ان يقرأ من خلال انقاضهــا وبقاياها تاريخ الجنس البشري قبل اربعة او خمسة او حتى ستة آلاف سنــة .

كانت بالأمس مدينة الكويت القديمة وها هي اليوم مدينة الكويت الجديدة ، والأمس واليوم يقفان على بعد مرمى حجر من حيث المسافة ولكنهما مجرد عشر سنوات من حيث الزمن ، وفي مدينة الكويت القديمة يختلط الأمس باليوم ويسيران على وتيرة واحدة من جميع الوجوه . اما قصة الامس واليوم ، « قصة الكويت قبل اكتشاف النفط وقصتها بعد اكتشافه » فهي شيء فريد غير عادي . فهي المدينة التي تطورت خلال عشر سنوات من مدينة ساحلية في طرف الصحراء محاطة بالأسوار تتسم بالطابع الشرقي القديم الى مدينة ممتدة عبر الصحراء تختلف في تصميمها عن مدينة الأمس باتساعها وبالعمارات التي انشئت فيها وبالمناظر الرائقة التي اكسبها اياها تطورها الشامل . وهي المدينة التي كانت لعشرة اعوام خلت تتألف من «الاسرة الكويتية» التي كانت تخضع لحكم الأقلية وتعيش على التجارة والغوص فأصبحت اليوم على النقيض من ذلك دولة مستقلة لها مجلس وزراء مؤلف من اربعة عشر وزيراً

رقم ـ ٤ ـ وبعد ذلك يشق الطرق « ويحوط » ارضاً او بيتاً ...

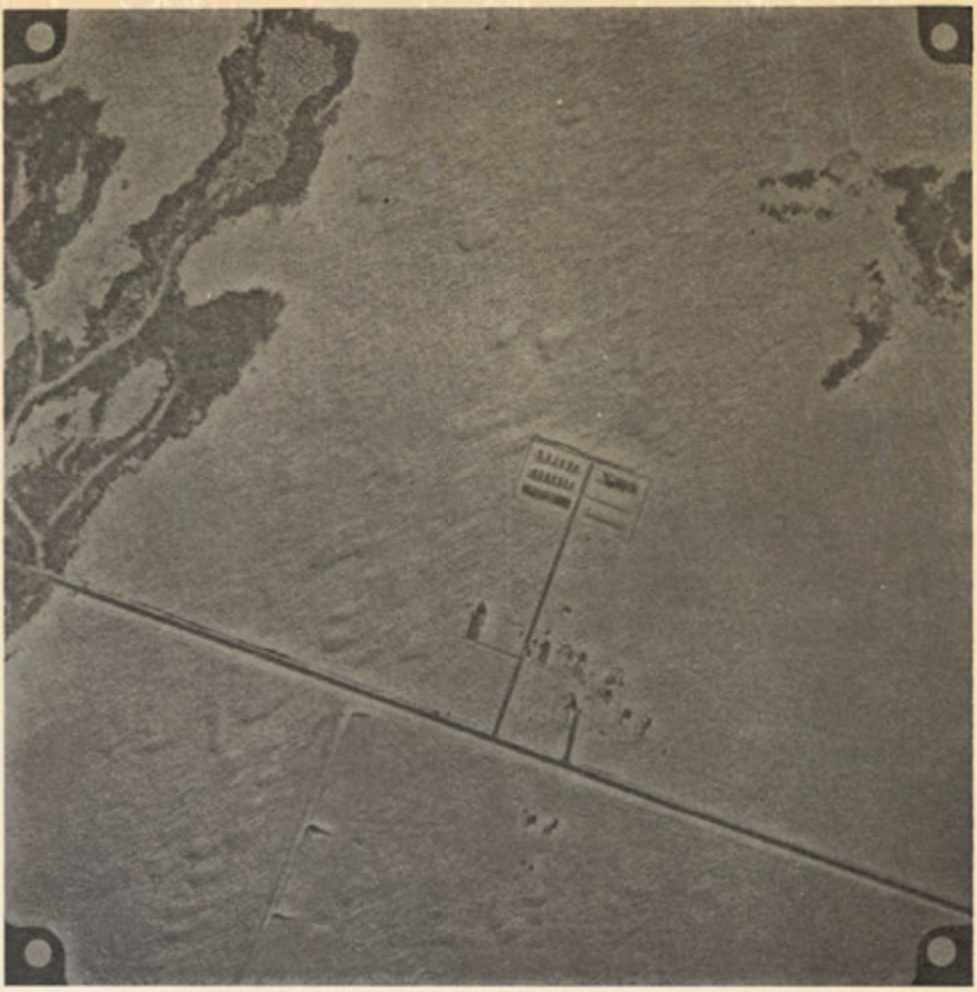

رقم ـ ٥ ـ هكذا يتفاعل الانسان مع الصحراء ...

ومجلس تأسيسي (وقريبا مجلس الامة) ومحاكم وسلطات قضائية ، الخ ... وهي اليوم مدينة فريدة جديرة بالاهتمام العلمي بحد ذاتها .

انها المدينة التي تجمع بين طياتها اقصى مقاييس النظم الرأسمالية والديمقراطية والاشتراكية وهي بذلك مدينة فريدة من نوعها ليس في العالم العربي فحسب وانما في العالم اجمع . وبطبيعة الحال نتجعن هذه الأمور كلها وعما رافقها من فلسفة السرعة الفائقة في التطور وجود مدينة فيها مختلف النظم الاجتماعية والثقافية التي تستغرق وقتا طويلا لتقريبها الى الوضع الذى يمكن معه وصفها وتحديد معالمها ـ من الانشائية والجمالية والاجتماعية . فقد دخلت الكويت العصر « التكنكراسي » بسرعةلا مثيل لها بالتاريخ .

لقد استغرق التطور الناشيء عن الثورة الصناعية في اوروبا وامريكا قرنا ونصف القرن من الزمن بينما لم يستغرق تطور الكويت سوى عشرة

اعوام فقط ، اذ ان العصر الآلي الذي نعيش فيه الآن قد احدث تحولا جذريا فى كافة النواحي العمرانية والثقافية والاجتماعية فى الكويت . فالاتصال المباشر بين المدينة والصحراء من جهة وبين المدينة والبحر من جهة أخرى قد تغير فجاة ونشأت معالم حياة جديدة على هذه البقعة من منطقة الخليج العربي .

قبل عشرة اعوام كانت مدينة الكويت قرية عربية بدائية تجثم على مقربة من الخليج العربي متماسكة الجوانب ضد قسوة قوى الطبيعة العابثة ومعتمدة فى معيشتها على التجارة والغوص وصيد السمك .

وكانت الكويت القديمة تتسم بطابع المدينة العربية الصحراوية الواقعة على الشاطىء داكنة اللون، متشابكة ومحاطة بالأسوار . وكان سكانها متحدي الكلمة بشعور جماعي

رقم ـ ٦ ـ حتى يفرض النمط الجديد على القديم ...

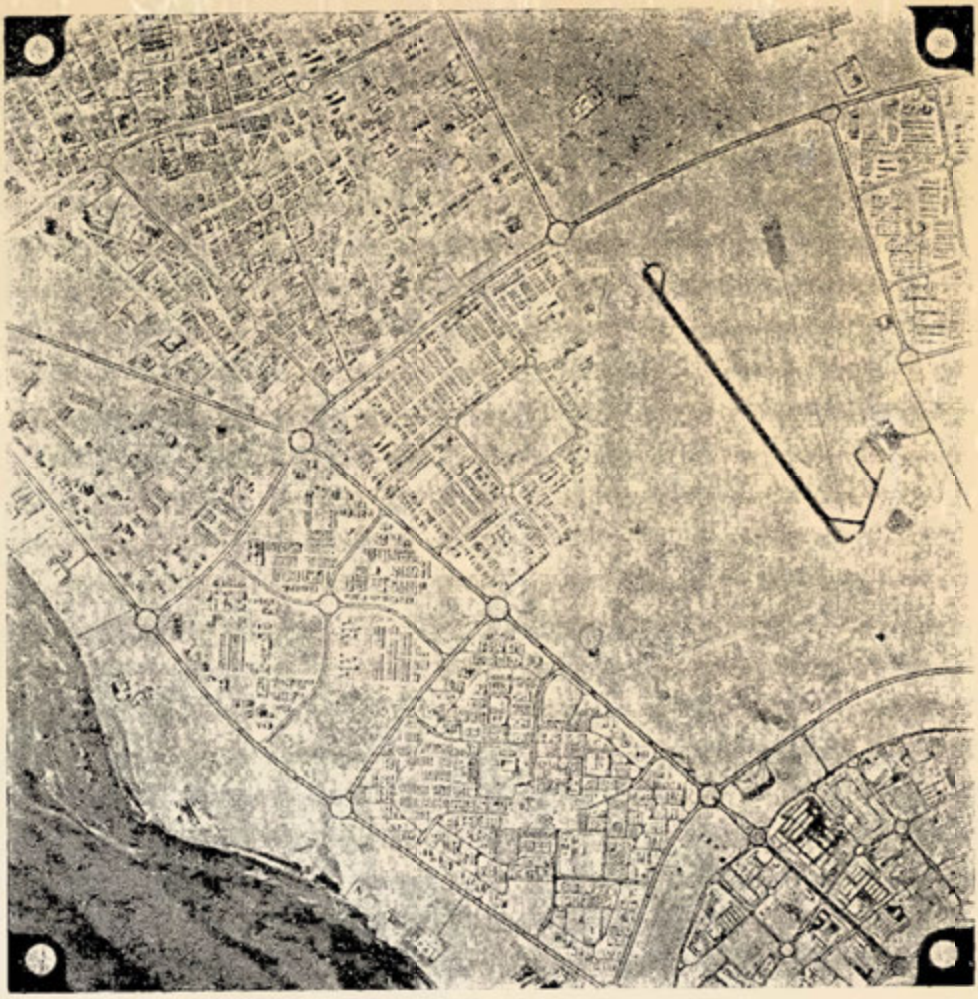

رقم ـ ٧ ـ ويمزج النمط القديم مع الجديد على وجه البسيطة ...

قوي وروابط منيعة فرضها تاريخ وطبيعة المنطقة التى يقطنونها . وكانت الكويت آنذاك تشكل مجتمعا متكاملا له خصائصه وميزاته الطبيعية والاجتماعية البارزة ومقوماته المباينة . واليوم اصبحت الكويت ذات شخصية مختلفة الملامح الاجتماعية والطبيعية سائرة فى عملية تطور سريع . غير ان نطاق التغير والتطور الحضري والطبيعي فيها (وهو من اختصاص منظم المدن) لا ينسجم تماما مع التطور الذي نلمسه فى البناء الاجتماعي للمجتمع الكويتي لأن مبدأ التطور الاجتماعي الخاص بتنمية العلاقات الاجتماعية هو من اختصاص علماء الاجتماع ،غير انه يطيب للمرء فعلا ان يشاهد النواحي الحضرية والطبيعية للتطور الذي احدثته المبالغ الخيالية التي انفقت على تطوير مدينة الكويت القديمة منها والجديدة ويشاهد المرء اليوم فى الكويت جميع انواع المساكن البدائية بالقرب من المساكن الحديثة، وكذلك يرى البيت البدائي بجانب البناية الضخمة الحديثة ـ الحديثة بكل ما تحمل الكلمة من معنى ـ مع

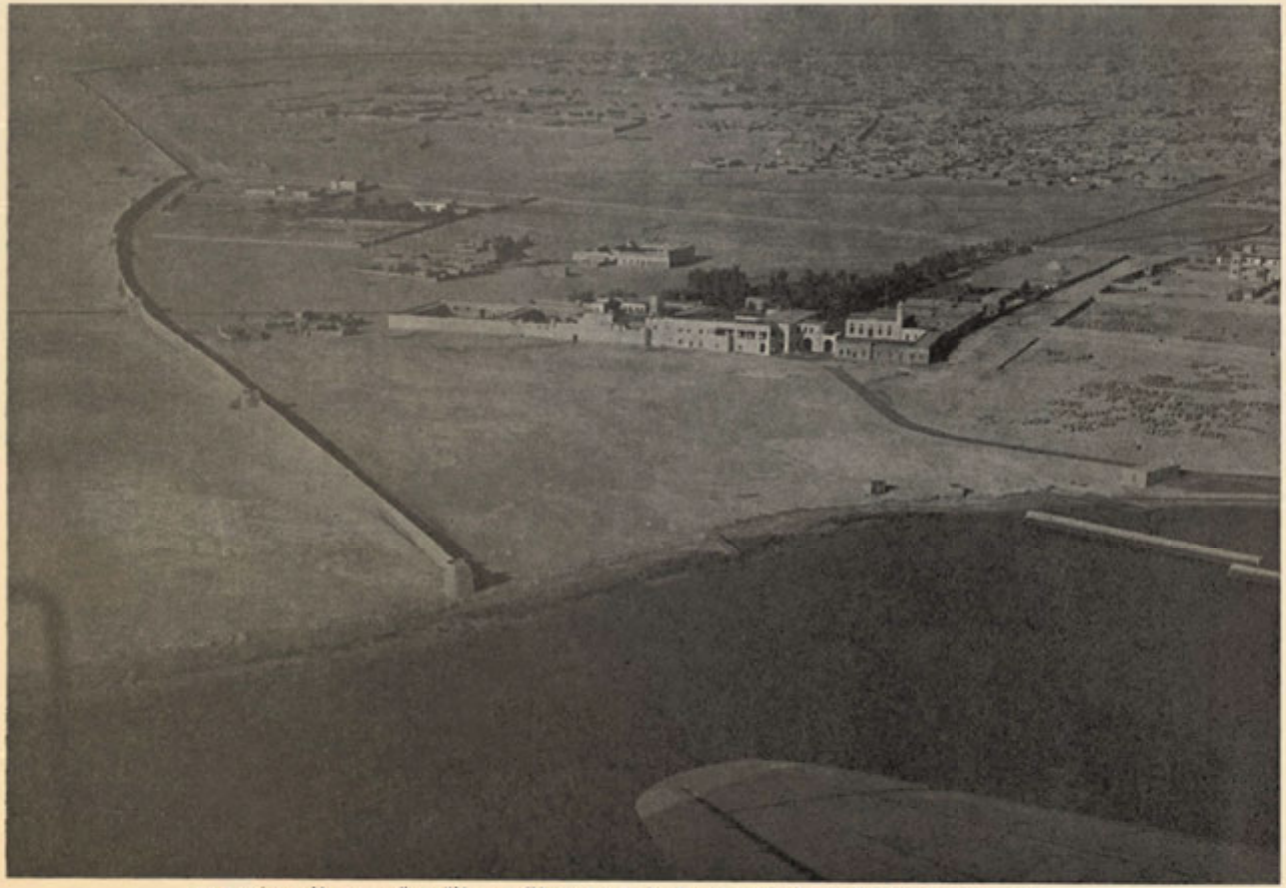

رقم ـ ٨ ـ فى يوم مضى كان قصر دسمان فى ضواحى الكويت القديمة ... واليوم أصبحت الكويت القديمة ضاحية من ضواحي « كويت الكبرى » ... هكذا كان النمو والتطور فى الكويت فى العشر سنين الماضية . (المؤلف)

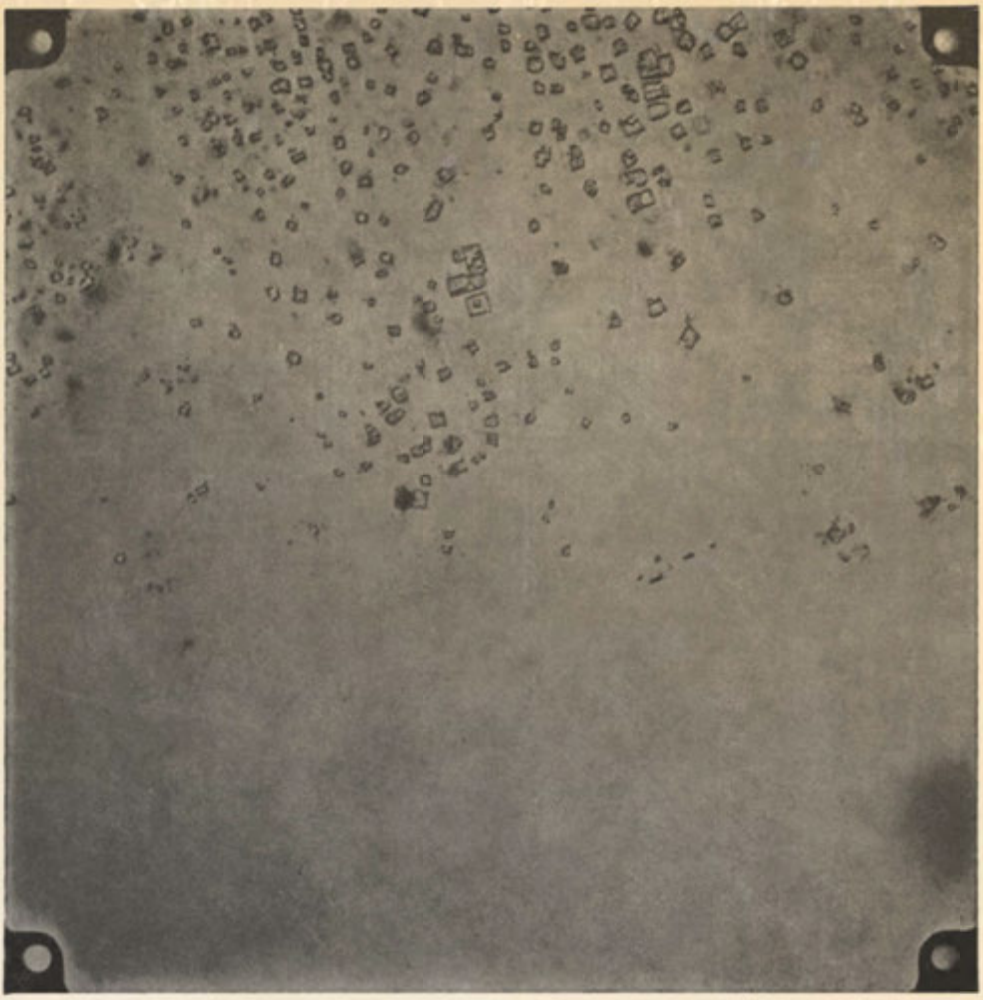

رقم ـ ٩ ـ « ان البدو أقدم من الحضر وسابقون عليهم ، وان البادية أصل العمران ، والأمصار مدد لها . » (ابن خلدون)

سرعة التحول التي تفرضها عمليات التطوير السريعة . فنرى هنا البدوي الذي يصفه ابن خلدون فى مقدمته وقد اصبح سائق سيارة وميكانيكيا وطالبا ومتمدينا ونرى ايضا التغير الجذري فى احوال السكان وفى العادات وفى القيم . ونرى على هذه البقعة الصغيرة نسبيا التي بدأت براعمها تتفتح ـ نرى عليها كل مظاهر التطور . فقد تطورت الحياة البدائية المتسمة بالبساطة والسكون الى حياة مدنية آلية اجاجة . فأصبحت الصحراء تزخر بالشوارع والعمارات ، والأمزجة التي كانت بالأمس وادعة هادئة اصبحت بين عشية وضحاها متوقدة مهذبة مفامرة . فهنا يمتزج العرق بالرمل كما يختلط الناس من مختلف الانحاء فى بناء المدينة التي ما ان تتم حتى يتبدل تماما المفهوم والانطباع التقليدي عن حياة الصحراء .

ان البنائين فى الكويت لايختلفون عن اخوانهم فى العراق او المملكة

العربية السعودية او الجمهورية العربية المتحدة او الاردن او سوريا او تونس او مراكش . فان وحدة الحاجة الى بناء المدن تجمع بينهم في جميع اقطار العالم العربي ، غير ان الفرق يتمثل في ان العربي في الكويت قد طفر فجاة في الطموح الذي تصحبه الرغبة الملحة في تقليص خمسمائة عام في خمسة اعوام . وهو بهذا يبدو وكأن السنوات الطويلة التي قضاها في شظف من العيش قد بعثت فيه هذا الطموح العارم للاستفادة من الفرصة التي لاحت له للتعويض عن السنين المرة التي قضاها في الكفاح والمتاعب والصبر .

٢ ـ مدينة الكويت القديمة :

لقد بنيت مدينة الكويت القديمة على الخليج الكويتي باتجاه البحر

رقم ـ ١٠ ـ « ولهذا تجد الامصار التي في القاصية ولو كانت موفورة العمران تغلب عليها احوال البداوة وتبعد عن الحضارة في جميع مذاهبها بخلاف المدن المتوسطة في الاقطار التي هي مركز الدولة ومقرها وما ذلك الا لمجاورة السلطان لهم وفيض امواله فيهم كالماء يخضر ما قرب منه ، فما قرب من الارض الى ان ينتهي الى الجفوف على البعد . » (ابن خلدون)

رقم ـ ١١ ـ مجسم مبسط يبين الكويت قبل انفجار المدينة وانتشارها وامتدادها خارج السور المزال . (المؤلف)

« فيعتصم بذلك المصر ويغالبهم ومغالبة المصر على نهاية من الصعوبةوالمشقة والمصر يقوم مقام العساكر المتعددة لما فيه من الامتناع ونكاية الحرب من وراء الجدران من غير حاجة الى كثير عدد ولا عظيم شوكة لان الشوكة والعصابة انما احتيج اليهما فى الحرب للثبات لما يقع من بعد كره القوم بعضهم على بعض عند الجولة وثبات هؤلاء بالجدران فلا يضطرون الى كبير عصابة ولا عدد فيكون حال هذا الحصن ومن المنازعين مما يفت فى عضد الامة التي تروم الاستيلاء ويخضد شوكة استيلائها . » (ابن خلدون)

وتبلغ مساحتها حوالي ثمانية كياو عام ١٩٤٧ سور (*) من الطين بنى
مترات مربعة . وكان يحيط بها حتى على عجل خلال شهر رمضان من عام

رقم – ١٢ – « اعلم ان المدن قرار تتخذه الامم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر الدعة والسكون وتتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار ولما كان ذلك القرار والمأوى وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها فاما الحماية من المضار فيراعى لها ان يدار على منازلها جميعا سياج الاسوار وان يكون وضع ذلك فى متمنع من الامكنة اما على هضبة متوعرة من الجبل واما باستدارة بحر او نهر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور على جسر او قنطرة فيصعب منالها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها ومما يراعى فى ذلك للحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة من الامراض فان الهواء اذا كان راكدا خبيثا أو مجاورا للمياه الفاسدة أو منافع متعفنة أو مروج خبيثة أسرع اليها العفن من مجاورتها فأسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة وهذا مشاهد ، والمدن التي لم يراع فيها طيب الهواء كثيرة الامراض فى الغالب . » (ابن خلدون)

* يذكر انه كان للكويت سوران : الأقدم يحيط أقدم منطقة فى الكويت والاحدث وصل الى « دروازة » الصباح حاليا .

١٩٢١ للدفاع عن المدينة ضد الغزاة اثر معركة الجهراء المعروفة فى تاريخ الكويت . وكان يتخلل ذلك اربع بوابات او «دروازات» هي : الجهراء، نايف ، شعب ، صباح ، بالاضافةالى بوابة شمالية صغيرة ، وكانت هذه البوابات تفضي الى الصحراء المترامية الأطراف . ولعل اهم ميزة حضارية لمدينة الكويت اليوم هي المقارنة الحاسمة بين المدينة القديمة المتراصة والمدينة الجديدة المتسعة . وهنا ـ اكثر منها فى اي مكان وزمان ـ توجد انواع متباينة من الانشاءات العمرانية فالمدينة القديمة او ما تبقى منها متراصة بمبانيها القديمة ، اماالمدينة الجديدة فمساحتها اكبر من مساحة

رقم ـ ١٣ ـ « ومما يراعى فى البلاد الساحلية التي على البحر ان تكون فى جبل او تكون بين امة من الامم موفورة العدد تكون صريخا للمدينة متى طرقها طارق من العدو والسبب فى ذلك ان المدينة اذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل اهل العصبيات ولا موضعها متوعر من الجبل كانت فى غرة للبيات وسهل طروقها فى الاساطيل البحرية على عدوها وتحيفه لها لما يأمن من وجود الصريخ لها وان الحضر المتعودين للدعة قد صاروا عيالا وخرجوا عن حكم المقاتلة . » (ابن خلدون)

المدينة القديمة بعشرين مرة وتتميز بعماراتها الكبيرة المتناثرة ،بينماكانت المدينة القديمة ذات بيوت صغيرة شيدت حول الطرق الرئيسية للمارة (الزكاقات او الزواريب) التي تعطينا صورة واضحة عما يمكن ان تكون عليه المدن العربية القديمة . وكانت مناظر المدينة القديمة بسيطة وهندستها بسيطة ايضا ، اما المناظر الجمالية فيها فكانت تتمثل فى المناطق المزدحمة والنسيمة على السواء كالأسواق والميادين وفى المساجد

رقم ـ ١٤ ـ « قد قدمنا ذلك فى آثار الدولة من المباني وغيرها وانها تكون على نسبتها وذلك ان تشييد المدن انما يحصل باجتماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم فاذا كانت الدولة عظيمة متسعة الممالك حشر الفعلة من اقطارها وجمعت ايديهم على عملها وربما استعين فى ذلك فى اكثر الامر بالهندام الذي يضاعف القوى والقدر فى حمل الثقال البناء لعجز القوة البشرية وضعفها عن ذلك كالمخال وغيره وربما يتوهم كثير من الناس اذا نظر الى آثار الاقدمين ومصانعهم العظيمة مثل ايوان كسرى واهرام مصر وحنايا المعلقة وشرشال بالمغرب انما كانت بقدرهم متفرقين او مجتمعين فيتخيل لهم اجساما تناسب ذلك اعظم من هذه بكثير فى طولها وقدرها لتناسب بينها وبين القدر التي صدرت تلك المباني عنها ويغفل عن شأن الهندام والمخال وما اقتضته فى ذلك الصناعة الهندسية » . (ابن خلدون)

رقم ـ ١٥ ـ « هذه الصناعة أول صنائع العران الحضرى وأقدمها ، وهـي معرفـة العمل فى اتخـاذ البيـوت والمنازل للسكن والمأوى للابدان فى المدن » . (ابن خلدون)

« روعة الحاضر وزهوه غالبا ما تكون مستلهمة مـن ثراث الماضي وعراقته . بل ان الماضي ، بكل مـا فيه من خلـود وتضحيات وصمود ، يظل قوة دافعة فى سواعد ابناء الحاضر والاجيـال الصاعـدة ، تحفزهـم الى بناء مستقبـل ركين ناصع .» (جريدة « الوطن » الكويتية ١٧ ـ ١٢ ـ ١٩٦٢)

(بقبيها ومنائرها) . وكان الميناء القديم هو حلقة الاتصال بين الكويت والعالم الخارجي . وكانت حافة شارع السيف القديم تشهد نشاطا ناميا وجدا عمليا متعدد الألوان ، فهنا اعمال الشحن وهناك اعمال بناء السفن الشراعية الخ . وكان القادمون الى الكويت آنذاك سواء بطريق البحر او عبر الصحراء يشاهدون عن بعد مدينة عربية اسلامية صحراوية . ومع ان اجزاء كبيرة من مدينة الكويت قد تغيرت جذريا بصورة او باخرى الا انه لا يزال هنالك فى المدينة القديمة بعض الأحياء التي لم « يضربها » التنظيم بعد ولم يطرأ عليها اي تغيير وهذه تعطينا بالطبع صورة ناطقة عما كانت عليه الحال فى الكويت منذ زمن غير بعيد .

لقد كانت المدينة القديمة تشبه شقة سكن ضخمة وكانت اسواقها بمثابة مخزن كبير وازقتها وشوارعها او « حاراتها » كانت تشكل الطرق الرئيسية فيها . وكانت ساحاتها مراكز للاجتماعات العائلية وللصناعة وللتنزه ، وقد تحقق فيها توازن — كتوازن مدن العصور الوسطى — بين الانسان والانسان ، بين الانسان والخالق ، بين الانسان والطبيعة ، وبين الانسان ومناوئه : البحر والصحراء والحرارة الشديدة وانعدام المياه العذبة و «الطوز» الخ. هكذ كان الوجه الاجتماعي والحضاري لمدينة الكويت عندما داهمها النفط بكثير من المشاكل . فقد ازداد دخل الكويت من النفط منذ سنة ١٩٤٨ حتى وصل فى الوقت الحاضر الى ما يقدر بحوالي ٢٥٠،٠٠٠،٠٠٠ دينار وقد كان أثر هذا الدخل الكبير على الاراضى بالغا وجذريا فقد محا تقريبا المعالم الطبيعية والاجتماعية للعهد الماضي فاصبح العمل البطيء نتيجة لذلك حركة عمرانية جارفة تحولت بسرعة نحو انشاء عاصمة واقاليم ومحافظات للدولة . وقد تم انشاء هذه المرافق بسرعة فائقة ذات رقم قياسي فى عملية انشاء المدن فى الصحراء. فقد تحولت المناطق الضيقة القديمة الى ميادين واسعة ذات مناظر مختلفة وحيث كانت السيارات فى الكويت تعد على الأصابع فى عام ١٩٤٨ نجد فيها اليوم اكثر من خمسين الف سيارة . وقد حلت الميادين والفيلات والشوارع الواسعة محل الأماكن المتراصة والساحات الصغيرة واصبحت السيارة شيئا هاما لدى المواطنين وهي تعتبر الى الآن — وفى الكويت بالذات — رمزا للتطور السريع غيرت بواسطتها النمط الحضارى القديم وقلبته الى الجديد.

٣ — الانفجار الحضارى :

لقد شعر المسؤولون فى الكويت انهم يستقبلون عهد تطور حضاري كبير فسارعوا الى الاتفاق مع احدى الشركات لتقوم باعداد مخطط تنظيمي للمدينة وليس يهمنا الآن موضوع ما اذا كان المخطط المذكور عمليا وعضويا ام لا ، انما المهم هو انه تم اعداد مخطط للمدينة القديمة يمتد بها بعيدا خلف الأسوار ليشمل جزءا كبيرا من الأراضي التي تم انشاء المباني عليها فى الوقت الحاضر . وكانت النقاط الرئيسية للمخطط المشار اليه تتألف من طرق متفرعة من الطرق الرئيسية التي تؤدي الى مداخل المدينة وتمتد على محاذاة السور الدائري الذي يحيط بها . وكانت نقط تقاطع تلك الطرق هي

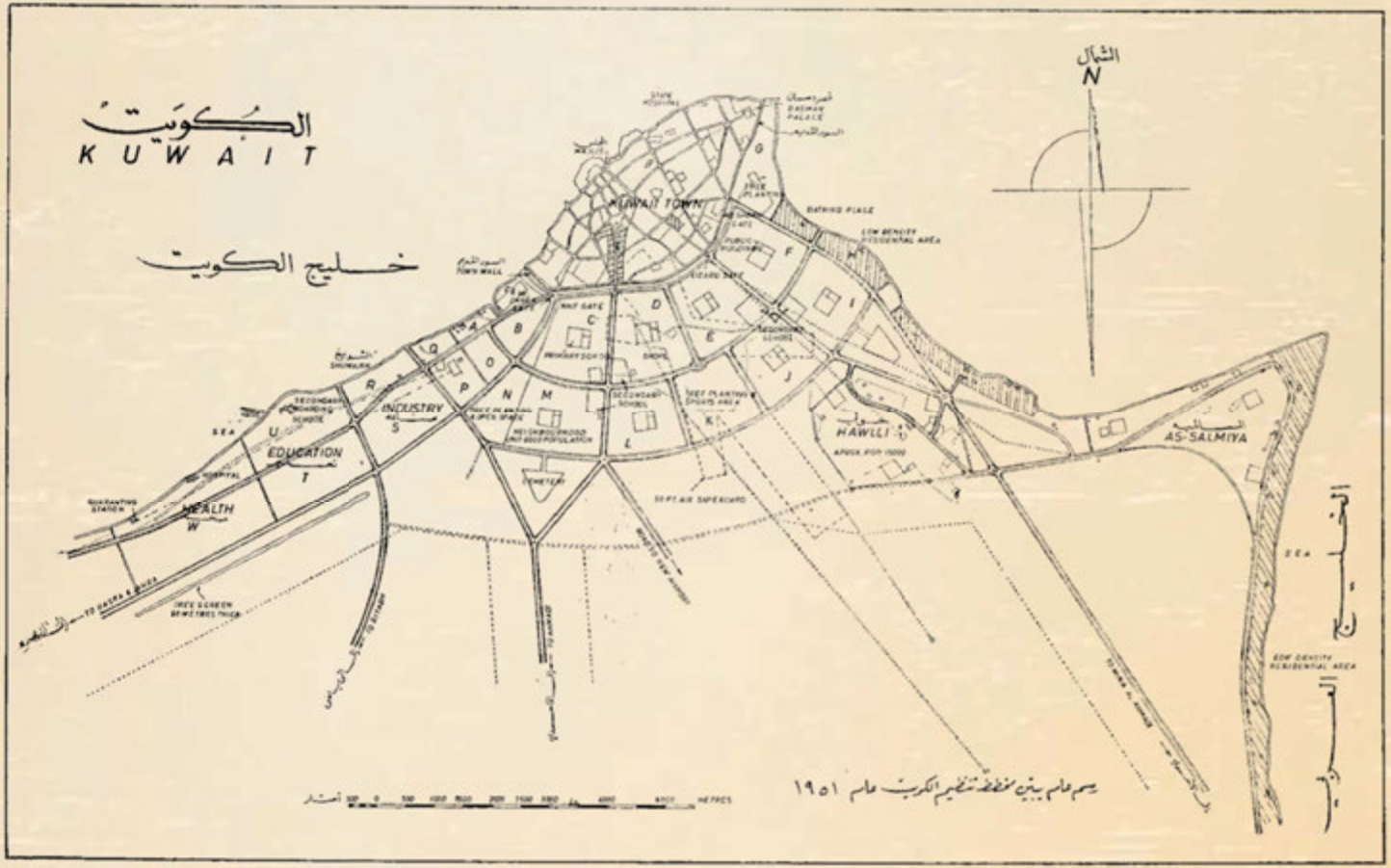

رقم ـ ١٦ ـ مخطط الكويت الذي وضع عام ١٩٥١ من قبل «سبنسلي ـ مونوبريو ـ ماكفارلند » . ومن هذا المخطط يحق للمرء ان يندهش عندما يعلم ان هذا المخطط قد نفذ بفترة تقل عن العشر سنوات . (المؤلف)

« الدواوير » او « الدوارات » التي نراها اليوم . وقد صممت المناطق الواقعة بين هذه الطرق بشكل يسمح لها بأن تكون مناطق سكن في ضواحي المدينة . وقد اعد مخطط لمناطق السكن المذكورة وللمدينة القديمة التي اعتبرت كأنها لم تكن، اذ انه كان هنالك في وقت ما فكرة لعدم العبث بها تنظيميا . وقد بوشر في عام ١٩٥٢ بتنفيذ مخطط المدينتين القديمة والجديدة مع التعديلات التي ادخلت على مخطط عام ١٩٥١ ، وقامت دائرة الاشغال العامة انذاك (وهي اليوم وزارة الاشغال العامة ، وقد تخلت للبلدية عن اعمال تنظيم المدينة واعمال المساحة في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٦١) بزيادة عدد موظفيها لمواجهة التطور المنتظر . وقد اصبحت دائرة الاشغال العامة نتيجة لذلك انشط اداة حكومية وحققت المعجزات غير انها لم تكن في البداية معصومة عن الخطأ الهندسي فقد وقعت بعض الاخطاء الهندسية الجذرية دون ان تلاحظها الدائرة المذكورة ، اذ انه منذ سنة ١٩٥٢ تطور علم وفن وهندسة تنظيم المدن على نطاق علمي واسع، واذا ما اعتبرنا مستويات التنظيم التي كانت موجودة آنذاك نجد ان خطة تنظيم الكويت تنسجم علما وهدفا مع فكرة التنظيم الاساسية لكنها في الوقت نفسه لا تخلو من بعض الشوائب التي كان بالامكان تفاديها .

ولا يزال موضوع تنظيم المدينة القديمة يشكل الى هذا اليوم لاقسام التنظيم والمساحة قضية حساسة لأن العقبات التي يواجهها المسؤولون في اعادة بناء المدينة ليست كثيرة فحسب وانما باهظة التكاليف وحساسة ايضا . اذ ان عليهم ان يتدبروا امور ملكية الأرض والعقارات في المدينة القديمة ـ وهذه عملية استنفدت الكثير من جهود التنظيم والمساحة دون ان تترك الوقت الكافي واللازم للاشراف الدقيق على عمليات اختيار المواقع واستعمالات الاراضي وتصميم مجموعات الابنية وهندستها ووضع مخطط رئيسي للمستقبل البعيد . فهنا ارتفعت اثمان الأرض بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ ـ وما زالت توالي ارتفاعها ـ بحيث اصبح استملاك مكان لوقوف السيارات مثلا يتطلب مبالغ ضخمة من المال . وقد كانت هذه العملية على اية حال احدى طرق « توزيع » دخل البترول على المواطنين ، وادت عملية التثمين دورها على خير وجه باعطاء الملاكين اثمانا كبيرة لأراضيهم . اما عملية الهدم في المدينة القديمة فقد سارت بخطوات سريعة تمهيدا لانشاء **الشوارع الكبيرة ذات الجانبين ولاعداد مواقع للمدارس والمرافق** العامة الاخرى . وقد اعدت مناطق سكن في ضواحي المدينة لايواء المواطنين الذين اخلوا مساكنهم ، والى جانب ذلك قامت الحكومة بتنفيذ برنامج عام لانشاء المستشفيات والمدارس ومحطات الاطفاء والطرق ومخافر الشرطة والميناء والمطار والمرافق العامة الاخرى الخ ، مما ادى الى نهضة عمرانية رائعة لمست آثارها في العالم العربي عامة اذا لم تتجاوزه . وقد اتفق ان نشطت هذه الحركة العمرانية في الوقت الذي كان يبحث فيه ابناء فلسطين عن عمل ، وسرعان ما قدم عدد كبير منهم الى الكويت وشغلوا مناصب مسؤولة بالنسبة لأوجه نشاط الحركة

رقم ـ ١٧ ـ « ان تفاضل الامصار والمدن فى كثرة الرزق لاهلها ونفاق الاسواق انما هو فى تفاضل عمرانها فى الكثرة والقلة ». (ابن خلدون)

العمرانية ، كما تدفق على الكويت كثير من الايرانيين والعراقيين والهنود وكثير من ابناء امارات الخليج الاخرى ليكونوا مجتمعا متعدد الجنسيات وليساهموا بدورهم في عملية التطوير المندفعة . ونشطت الحركة الى ابعد طاقاتها فامتلأت الاماكن بالعمران كمنطقتي السالمية وحولي ، بينما انشئت قرى جديدة مثل ابرق خيطان والفروانية وجليب الشيوخ . وكذلك بدأت الحكومة تواجه مشكلة تامين المساكن للمواطنين ، فقد ازداد عدد السكان في الكويت من ١١٠،٠٠٠ نسمة في عام ١٩٤٨ الى ما يقرب من ٣٥٠٠٠٠ نسمة في عام ١٩٦٢ .

٤ ـ ما هو التنظيم ؟

ليس التنظيم الشامل السليم مجرد هندسة او رسوم جميلة وانما هو علم واسع يشمل دراسات وابحاث علمية واحصائية وهندسية واجتماعية وفنية ، اذ يقتضي التنظيم الصحيح ان تستمد المدينة شكلها ومظهرها من عوامل اربعة هي : الجغرافية ومعالم الأرض والفلسفة العمرانية والحياة الاجتماعية وهذه العوامل الاربعة التي يستوحى منها انشاء المدينة ـ اية مدينة ـ تضم جميع العناصر التي يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار عند انشاء المدن . فالجغرافية تشمل عنصر المناخ الذي يستلزم دراسة علمية دقيقة ومعالم الأرض تشمل عناصر هامة ايضا مثل طبيعة موقع المدينة والوضع المائي ـ الأرضي ان وجد ـ ، وتطبيق مبادىء التنظيم الصحيح فيما يتعلق بهذه الأمور عامل اساسي في تصميم مواقع المدن . اما الفلسفة العمرانية فهي عنصر ادق من العنصرين السالفي الذكر لأنها تتصل بالنواحي الاجتماعية والمعنوية والجمالية اكثر مما تتصل بالنواحي الطبيعية الملموسة ، واما عنصر الحياة الاجتماعية فيتناول جميع خصائص ومميزات وعادات البيئة . وقد كان الجمع بين هذه العوامل كلها في انشاء المدن وتطويرها يعتبر عملا بطوليا في عالم العمران . وتجدر الاشارة هنا الى ان بعض المدن نمت وتطورت وفقا للعوامل الأربعة السالفة الذكر تلقائيا ، وكانت المدينة العربية التي تعتبر مدينة الكويت القديمة صورة حية لها تمثل ذلك النوع من المدن . واذا ما قمنا بدراسة دقيقة للتوزيع العام والأصلي للسكان في مدينة الكويت فاننا نجد ان هذه المنطقة السكنية قد اتسعت بسرعة واحاطت بالمساكن الاصلية حيث ان عملية توسيع المدينة قد نشطت بشكل ملحوظ ومما هو جدير بالذكر ان مناطق السكن الاصلية في الكويت كانت منطقة الجهراء (وهي واحة تبعد قليلا عن البحر وقد آوى اليها السكان لوجود المياه العذبة فيها) ثم مدينة الكويت القديمة (وكانت تسمى في الاصل « الكوت » ومعناها الحصن) ثم السالمية (الدمنه ، راس الأرض ، البدع) والفنطاس وابو حليفه والفحاحيل والشعيبة وهذه جميعها مناطق سكنية انشئت على شاطىء الخليج ، اما الصحراء فقد اغفلت لأن القرب من البحر كان ولا يزال يشكل مكانا معقولا للسكن لعدة أسباب .

وبالنسبة للكويت تعتبر جميع عوامل العمران قاسية من حيث الطبيعة وقد تكون طبيعة الأرض اقل قسوة ولكنها رغم انبساطها الرملي الشاسع لا تسهم بشيء في تسهيل وسائل الحياة او العمران

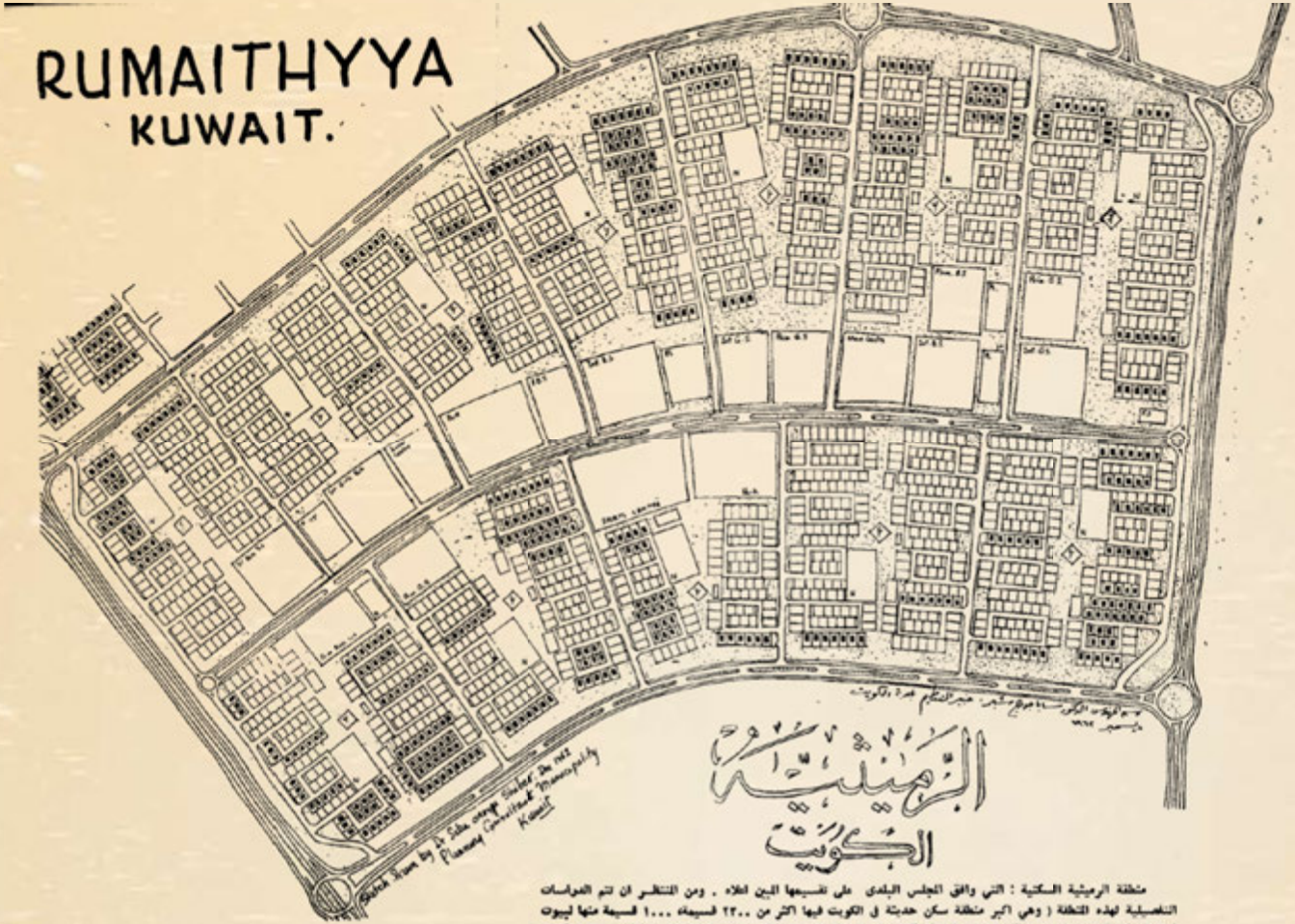

منطقة الرميثية السكنية : التي وافق المجلس البلدى على تقسيمها الين اخلاء . ومن المنتظر ان تتم العواسات التفصيلية لهذه المنطقة (وهي اكبر منطقة سكن حديثة فى الكويت فيها اكثر من ٢٢٠٠ قسيمة ....١ قسيمة منها لبيوت لذوى الدخل المحدود) بعد حوالي ١٤ شهرا . ان المساحات البيئة على المخطط مخصصة للمدارس والجوامع والملاعب ومراكز الضواحي الخ .... (المؤلف)

رقم ـ ١٨ ـ « اعلم ان الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعـا اختصها بتشريفه وجعلها مواطن لعبادته يضاعف فيها الثواب وينمو بهـا الاجور واخبرنا بذلك على السن رسله وانبيائه لطفا بعباده وتسهيلا لطرق السعادة لهم وكانت المساجد الثلاثة هي افضل بقاع الارض حسبما ثبت فى الصحيحين وهي مكة والمدينة وبيت المقدس ... » (ابن خلدون)

عليها . اما العوامل الأخرى فهي فى منتهى القسوة وقدتطلبت عقلاراجحا ويدا جبارة لانشاء مدينة رائعة وفت بجميع مستلزمات وضعها الفريد . ولناخذ عامل المناخ فقط لنتمعن على اساسه فى الانشاءات العمرانية التي تلت .

ان المناخ عامل هام فى بناء المدن ، وهو مع الجغرافية وفلسفة العمران ومعالم الارض وعادات السكان يشكل العنصر الاساسي لانشاء المدن ، اذ تتأثر الهندسة المعمارية بالمناخ الى حد كبير . وقد كان تلاصق المباني فى المدن العربية القديمة ـ وربماكان ذلك نتيجة اللمس والاحساس والحاجة وليس نتيجة التصميم المقصود ـ ينسجم لمحض الصدفة مع تدابير اتقاء الحر اللافح ، فلو كانت المباني متباعدة نسبيا لكانت الحرارة الشديدة والعواصف الرملية قد زادت من متاعب السكان وضاعفت مشاكلهم وللمناخ تأثيره الفعال واعتباراته الخاصة كعامل مقرر فى انشاء المدن وقد راعت الهندسة المعمارية الحديثة تأثيرات المناخ من حيث التصميم فاصبحت تضم انشاء المظلات كجزء من المباني اتقاء للحر ، وما هذا الا احد وجوه التدابير الهندسية الكثيرة التي تتخذ بهذا الشأن ، اما فى الكويت فلم يول حتى الآن المناخ الحار الفريد من نوعه الاهتمام اللازم من حيث الهندسة . ونعتبر هذا الشأن ـ من تكوين المدينة الشامل الى تصميم العمارات الفردية فيها ـ شأنا يستوجب الاهتمام والدراسة من الآن فصاعدا .

٥ ـ الاعتبارات المناخية :

ان اعتبار المناخ كعامل رئيسي فى الهندسة المعمارية وانشاء المدن ليس فكرة حديثة فقد درست هذه الفكرة فى سالف العصور ، وقد تحدث سقراط عن اهمية التنظيم وقال فيتروفيوس قبل ٢٠٠٠ سنة : « ان طريقة البناء يجب ان تكون متباينة لان جزءا من الكرة الارضية يتعرض لحرارة الشمس اللافحة بينما الجزء الآخر يكون بعيدا عنها وفى مكان آخر تتأثر الارض بتلك الحرارة على مسافة معتدلة » . وقال ابن خلدون قبل ستمائة سنة : « ان ظروف البناء متباينة فى المدن المختلفة وكل مدينة تتبع فى هذا الشأن الاساليب الفنية المعروفة لدى سكانها وتتقيد بالأحوال المناخية والظروف المختلفة الاخرى بالنسبة لغنى هؤلاء السكان او فقرهم » . وبالرغم من ان هذه الملاحظات تبدو واضحة للجمهور فان المهندسين كانوا يخالفونها وهذا ما يفسر عدم وجود الطابع الاقليمي فى انشاء كثير من المدن العربية . ويستطيع المرء ان يجد عدة اسباب للتشابه الملاحظ فى الهندسة المعمارية التي تطبق ليس فى الكويت فقط وانما فى كافة ارجاء العالم العربي . وبعض هذه الاسباب هي ما يلي :

(أ) سرعة الاندفاع فى الانشاء ، مما يفتقر غالبا الى التصميم الرشيد .

(ب) صناعة التكييف والتدفئة التي يفترض فيها ان تصحح اي خطأ هندسي حصل بالنسبة للمناخ بالرغم من ان ذلك التصحيح يكون بثمن .

(ج) عدم وجود البحوث الهندسية الكافية التي تقرر شكل البناء فى اي مناخ معين ، اذ لم يمارس المصممون حتى الآن فى هذا المضمار سوى

رقم ـ ١٩ ـ صورة جوية للمنطقة التجارية المركزية تبين ساحة الصفاة وجزء من المقبرة التي أصبحت حديقة عامة والمناطق العشر التي ستبنى من جديد . ومن الجدير بالذكر ان هذه الصورة التقطت قبل عامين فقط ولا تدل على الواقع الان اذ ان الجزء الكبير منها قد هدم تمهيدا للبناء الجديد . (المؤلف)

مزاجهم والتقليد الاعمى لغيرهم وتبين اراء اسلافهم .

(د) الافتراض السائد بين المهندسين بان لا فائدة تذكر يمكن جنيها من تصميم المباني بصورة تنسجم مع المناخ .

(هـ) وجود مهندسين سطحيين بدلا من مهندسين مهرة اذكياء يقومون بالعمل الخلاق اللازم .

اما من الناحية العلمية فان العوامل التي تفرض وجودها بالنسبة للتنظيم فى الكويت فهي : الحرارة والعواصف الرملية وقلة المياه العذبة واتساع الصحراء وضخامة الثروة. وهذه العوامل الفريدة يجب ان تفرض كيفية انشاء المدينة من الناحية العلمية وهندسة المباني وتنظيم الساحات والميادين . وفى الوقت الذي توجد فيه اماكن ـ كبيروت مثلا ـ لاتتوفر

المنطقة التجارية المركزية

في جميع انحائها حتى الطرق الواسعة التي يمكن ان تسير عليها السيارات، حدث عكس ذلك تماما في الكويت حيث اخذت السيارة بعين الاعتبار المركز الخاص في تنظيم المدينة . غير انه في الوقت نفسه اوليت العوامل الحساسة ـ كالمناخ مثلا ـ اهتماما طفيفا ، في الوقت الذي يجب ان يكون فيه العامل الاساسي الأول. ويمكن ان يعتبر تنظيم مدينة الكويت انجازا فخما لاماكن كثيرة عدا الكويت اذ ان نوع التنظيم المطلوب هنا ليس موضوعا غامضا او لغزا او مسألة صعبة الحل، فان ما كان مطلوبا هو نوع من التجاذب والتنافر العمراني والتلاصق والانفراج بدلا من الامتداد والتفرع المنتظمين . فقد كان بامكان النموذج البنائي القديم ان يكون مصدرا تستقى منه فكرة تطوير المدينة من كافة الوجوه ، غير انه بدلا من ذلك اغفلت الطرق الرئيسية والدواوير والطريقة غير العضوية التي استعملت في اختيار مواقع البناء عدة اعتبارات تنظيمية اساسية . غير ان دقة وبراعة التصميم نادرا ما تفهم على المستوى الحضاري بالرغم من كثرة انواع الابنية التي اتسمت بابرع التصاميم الهندسية المعمارية متجاهلة الاعتبارات الهامة الاخرى.

ان الاهمية الزائدة التي اعطيت للشوارع هي مسألة اخرى كان من الاولى ان تراعي على هذا النحو في التنظيم المبدئي . ثم ان امتداد المدينة الذي يستلزم نسبة من كثافة السكان اقل بكثير من النسب المقبولة يشكل مسألة اساسية اخرى تتطلب دراسة نقدية . وقد اثرت هذه النقاط على امل ان تولى اهتماما خاصا في التنظيم المقبل في الكويت وفي شبه الجزيرة العربية وتعتبر مدينة الكويت مدينة فخمة من وجهة نظر الانسان العادي الذي تعود على رؤية الشوارع الضيقة والهندسة البسيطة بوجه عام والمستوى البسيط للمرافق العامة. ان الانسان العربي العادي في الكويت يدهش فعلا ـ ولدهشته هذه ما يبررها ـ عندما يشاهد اصدق الجهود تبذل في عملية تنظيم المدينة ويرى المستويات الرفيعة التي وصلت اليها المدينة ومرافقها العامة المدهشة.

وخلال السنوات العشر القادمة عندما يتم انشاء المشاريع الجديدة وتنتهي اعادة التعمير في داخل المدينة وبانتهائه تكون بعض الاخطاء التي وقعت قبلا قد صححت ، وعندها سيكون من حق الانسان العادي والعالم ايضا ان يتوقعا ان تصبح الكويت المدينة العربية العصرية الأولى . ولا حاجة بي هنا لذكر النواحي التنظيمية الهامة التي تتصل

رقم ـ ٢٠ ـ مخطط عام لمدينة الكويت داخل السور المزال يبين المنطقة التجارية المركزية التي سيجرى اعادة بنائها على مراحل خلال السنين القادمة . ومن الجدير بالذكر ان المجلس البلدي اتخذ قرارا قبل عامين ونصف باعادة بناء هذه المنطقة على أسس تنظيمية وجمالية وهندسية شاملة . (المؤلف)

رقم ـ ٢١ ـ مخطط يبين اربع قطع من المنطقة التجارية المركزية المكونة من عشر قطع . فالمناطق ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٩ قد انتهى تنظيمها وبيعها بالمزاد العلني ويبين المخطط ايضا الجزء الاول من حديقة البلدية الجديدة الواقعة على شارع فهد السالم . (المؤلف)

بموقع المدينة وامتدادها والتخطيط الشامل لانشائها . ولا يفوتني ان اذكر ان تطبيق مبادىء التصميم المعماري فى انشاء البنايات لم يكن الا جزئيا حتى الان . لذا ، انه من الضروري ان يعطى فن التنسيق بين عناصر الهندسة المعمارية عناية اكثر فى المستقبل بالنسبة للمناطق التي انشئت والمناطق التي يعاد تنظيمها. وخصوصا عندما تنشأ فى الكويت بنايات ضخمة جدا تنفق عليها مبالغ طائلة يجب ان يولى الاهتمام الفائق لامكانية الحصول على افضل النتائج الانشائية والتنظيمية لهذا العمل الضخم . ولا يحتاج المرء لان يكون نقادا حاذقا فى فن (هندسة) المدن ليدرك ان الفرص التنظيمية والهندسية الذهبية التي سنحت للكويت لم تستغل جميعها حتى الان استغلالا شاملا ، وفى هذا المجال لنا المستقبل ليدر نتائج للتنظيم والهندسة لا مثيل لها اذا علمنا ان التنظيم والهندسة هما حقل واحد لا يتجزأ ، وعلى المهندس ان ينظر اليه نظرة قائد الاوركسترا « السمفونية » وليس نظرة مجزأة .

وعلاوة على ذلك كان هنالك اتجاه لتوسيع المسافات الفاصلة بين العمارات عند التخطيط الامر الذي

من شانه ان يفقد التنظيم ميزاتـــه المستحبة من حيث التناسب والمطابقة والقياس والمسافة علما بان الحكم النهائي على سلامة التنظيم وصحتـه يكمن فى انسجامه ومطابقته للعوامل الطبيعية والطاقـــات الاقتصاديـة والقوى العاملة والاعتمادات المخصصة للمستقبل ، وهذه جميعها تتلخص فى اخفاء صفة المعقوليـــة على التنظيم الاجتماعي الطبيعي ، لأن المدينـــة والعمارة يجب أن يتخـذا شكلهمـا وتكوينهما وفقا لأحـــوال السكـان وعلاقاتهم الاجتماعية وطبقا للعصـر والمكان وان يستمدا هذا الشكـــل وهذا التكوين من العوامل المتصلـة بما اوردنا . وبالنسبة للكويت ،حيث ان عوامل التنظيم حادة ، فان الحكم على تطور المدينة من مدينة قديمـة متراصة الى مدينة حديثة واسعـة يجب ان لا يستثنى النواحي العلمية الدقيقة ، بل يجب علينا ان نأخـذ بعين الاعتبـــار جديا جميع هـذه العوامل لخلق ، ليس فقط مدينـة فخمة بطرقها وعماراتها ، بـل مدينة فريدة مـــن النواحـي الجماليـــة والتناسقية والمناخية والاقتصادية .

٦ ـ المجلس البلدي يعمل بجراة ووعي : ١٩٦٠ ـ ١٩٦٢ .

قليلة هي المجالس البلدية التـي حققت انجازات هامة فى ميدان التنظيم مثل ما حقق المجلس البلدي الحالي فى الكويت . ففي مدة سنتين مـن تأسيسه بـذل هذا المجلس (الذي كان من المفروض ان تنتهي مدته في صيف عام ١٩٦٢ ومددت الى اذار عام ١٩٦٣) أقصى الجهود سواء ككل او من خلال لجانه الفرعية ـ وعلى مر الايام ـ فى ارساء الحجر الاساسي لدعائم نمو الكويت المقبل وفى معالجة القضايا الرئيسية الملحة . وكانـت جلساته المتعددة والتي زادت ـ رغم المدة القصيرة ـ على المائة جلسـة (عدا عن مئات الجلسات التي عقدتها لجانه الفرعية) كانت تشهد وعيـا وادراكا وجدية وعملا دائبا ومناقشة حادة مما حدا بالمصممين المحترفيـن الى الاعتزاز بعمق وشمول المباحثات التي جرت وجعل المجالس البلديـة العربية الاخرى تغبط المجلس البلدي فى الكويت على انجازاته الرائعـة . منذ ان اسس هذا المجلس البـلدي الذي لا مثيل له فى عام ١٩٦٠ وهـو يواجه المشاكل الشائكة ، وكان عمله تحت كل الظروف اقل ما يقال فيـه انه شاق ومفن ومعيق . فكان على المجلس ان يمسك بناصية الحركـة المنطلقة فى المدينة ويوجهها التوجيـه السليم وهذا عمل ليس بالسهل طبعا. وقد حمل المجلس هذه المسؤوليـة وحقق فى سنتين كثيرا من المعجزات فى مضمار التنظيم ستبدو اهميتهـا فى السنوات الخمـــس او الســت القادمة عندما يتم انشاء المشاريـع الضخمـة التي وضع المجلس البلدي احجار اساسها .

ولعل اهم واشـق انجاز حققـه المجلس البلدي هو قـراره الحكيـم الجريء بتطوير المنطقـة التجاريـة المركزية بكليتها (والمكونة من ١٠ قطع) بدلا من تركها تنمو تدريجيا عـلى اساس تنظيمي قديم او على اسـس مرتجلة . وباتخاذ هـذه الخطـوة الحاسمة فتح المجلس البلدي بابـا جديدا للمدينة العربية كما أنه امن قلب المدينة ووضع لها مخطط التنظيم اللائق وضمن لها وجود مركز مدنـي

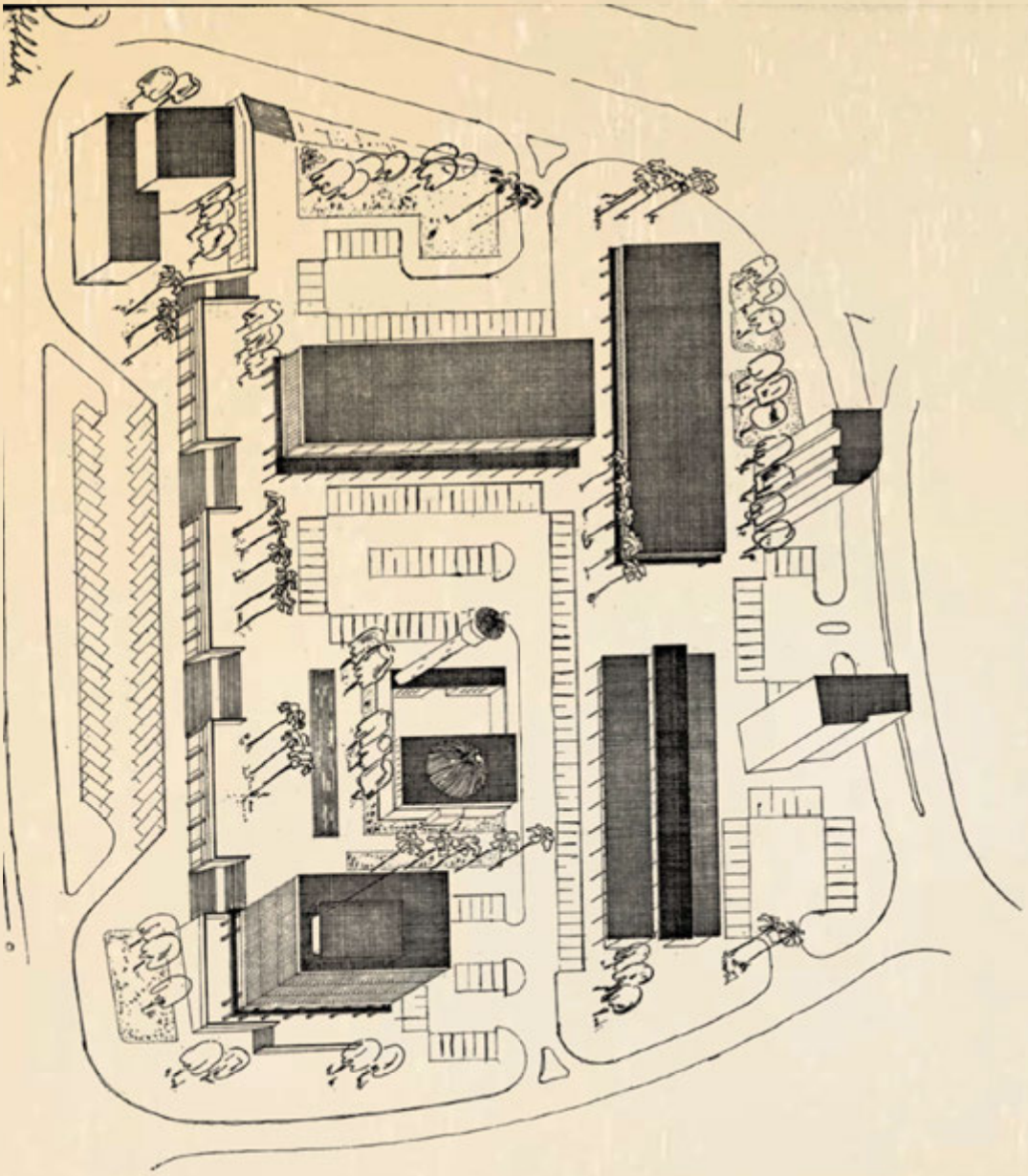

رقم ـ ٢٢ ـ منظر مبسط للقطعة الاولى من المنطقة التجارية المركزية .

« جرى اصلا تصميم كثير من المساجد واختيار مواقعها بحيث تقف صروحا جميلة فى المدن غير انها حجبت الآن عن النظر فينبغي ازالة ما يحجبها بغية اعطاء المسجد مركزه الجمالي الذي يستحقه » (من قرارات « الحلقة الدراسية لتنظيم المدن فى العالم العربي » . القاهرة ١٧ ـ ١٩٦٠/١٢/٢٢)